المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

يعد الإنجاب الصناعي انقلاباً على كثيرٍ من التقاليد والعادات الإسلامية التي استقرّت داخل مجتمعاتنا، بحكم قواعد الدين والأخلاق والآداب النابعة من عقيدتنا الإسلامية الصافية.

وتبدو خطورة هذا الانقلاب في أنه ثورة مستمرة، لا تكاد تمر أسابيع قليلة إلا وتحمل لنا وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بعض الاكتشافات الطبية أو العلمية الجديدة بخصوص الإنجاب الصناعي.

ولقد أدى الطب بالنسبة للإنجاب دورين متناقضين، فقد قام الطب في البداية بدور سلبي لمن لا يرغب في الإنجاب، وقدّم لهذا الغرض وسائل عديدة، لمنع وتنظيم الإنجاب، ولقد كانت هذه الوسائل -وما تزال- محل خلاف كبيرٍ من الناحية الشرعية.

ثم قام الطب حديثاً بدور إيجابي بالنسبة لمن يرغب في الإنجاب، ويحول دون هذه الرغبة بعض الموانع الخلقية والمرضية، وقدّم لهذا الغرض وسائل عديدة لمساعدة الإنسان على تحقيق أمنيته في الإنجاب.

obeikandl.com

وإذا كان الطب دائماً في خدمة الإنسان سلباً وإيجاباً ومازال كذلك، وعلى الرغم من التعارض الظاهري في قيام الطب بكُلٍ من الدورين، فإنه يجمعهما معاً أن دور الطب لم يعد فقط علاجاً لحالات مرضية، وإنما أصبح استجابات لرغبات معينة، وهنا تكمن الخطورة.

وتبدو الصعوبة؛ بل والخطورة في أن الرغبة الإنسانية لا حدود لها، فليس كل ما هو ممكن علمياً وطبياً جائزاً شرعاً، فالإمكان من الناحية الطبية شيء، والجواز شرعاً شيء آخر، ومن هنا تأتي ضرورة تدخُّل علماء الشرع الإسلامي الحنيف لرسم حدود الدائرة التي لا يجوز لرجل الطب، أن يجتازها وكذلك المريض، وحتى لا نترك المجال لأنصاف العلماء والمتاجرين بالدين أن يطلقوا التحريم والتحليل من دون ضابط شرعي، اللهم إلا الهوى وحب البروز؛ ذلك أن الإسلام حدّد السلطة التي تملك التحليل والتحريم، فانتزعها من أيدي الخلق، أياً كانت درجتهم في دين الله، ودنيا الناس، وجعلها من حق الله وحده، فلا أحبار، ولا رهبان، ولا ملوك، ولا سلاطين يملكون أن يحرِّموا شيئاً تحريماً مؤبداً على عباد الله، ومن فعل ذلك منهم، فقد تجاوز حدَّه، واعتدى على حق الله في التشريع، ومن رضي بعملهم هذا واتبعه، فقد جعلهم شركاء من دون الله. قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ... ﴾ [١].

وقد نعى القرآن على اليهود والنصارى الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [٢].

وقد جاء عدي بن حاتم[٣] إلى النبي ﷺ وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام فلمّا سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية، قال يا رسول الله: إنهم لم يعبدوهم، فقال:

(١) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١ .

(٣) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس... الطائي، وأبوه حاتم، هو الجواد الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل في الكرم، يكنى عدي أبا طريف، وقيل: أبو وهب، وفد عدي إلى النبي ﷺ سنة تسع في شعبان، وقيل: سنة عشرٍ، فأسلم وكان نصرانياً. =

obeikandl.com

«بلى؛ إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام، فاتَّبعُوهم، فذلك عبادتهم إياهـــم»[١]. كما نعى الله على المشركين الذين حرّموا وحلَّلُوا بغير إذنٍ من الله، قـال الله تعـالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٢].

وقـــال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[٣].

ومـن هذه الآيات البيِّنـات، والأحاديث الواضحات، عرف فقهـاء الإسلام معرفة يقينية أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يُحِلَّ ويُحرِّم في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وأن مهمتهم لا تعدو بيان حكم الله فيما أحلَّ وحرَّم، قـال جلَّ شأنه: ﴿ ... وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ... ﴾[٤].

وليسـت مهمتهم التشريع الديني للناس فيما يجـوز لهم، وما لا يجوز لهم، وكانوا مع إمامتهم واجتهادهم يهربون من الفُتيا، ويحيل بعضهم على بعض، خشية أن يقعوا خطأً في تحليل حرام، أو تحريم حلال.

وقد أصبح تدخل علماء الشريعة اليوم ضرورة أكثرمن أي وقت مضى، حتى لا تتحوّل الحرية إلى فوضى؛ خصوصاً أن الإنجاب الصناعي يتصل مباشرة بالإنسان نفسه، من حيث صفاته الجسمية والنفسية، ونسبته لجهة الأب والأم؛ بل ونوعه (جنسه) ومستقبله،

= شهد فتوح العراق، ووقعة القادسية، ووقعة مِهْران، وغيرها، سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وتوفي سنـة: سبـعٍ وستين، وقيل: سنة ثمانٍ، وقيل: سنة تسع وستين، وله مئـة وعشرون سنة، قيل: مات بالكوفة، وقيل: مات بقرقيسياء، والأول أصح. راجع في ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ص: ١٠٨.

(١) أخرجـه الترمـذي في أبواب تفسير القرآن من سورة التوبة ٢٤٨/٨ برقم: ٣٠٩٤، وقـال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين، ليس بمعروف في الحديث.ا.هـ

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

أي أنَّ الإنجـاب الصناعي يمس -باختصار- حياة الشخص ذاتها، ووضعه الاجتماعي، وهو لا يؤثر فيها في لحظة معيَّنة فقط؛ بل تلاحق هذه الآثار الإنسان حتى وفاته.

أسباب اختيار الموضوع

١ ــ أنــه حديث الساعـــة، فلا تمضي أيامٌ قليلــة إلا ونسمع أو نقــرأ أو نرى جديداً في موضوع الإنجاب الصناعي.

٢ ـ أني أردت أن أُدلي بدلوي في هذا الموضوع الحديث والخطير في الوقت نفسه.

٣ ــ أنه يمس كلية من الكليــات الخمس، ألا وهي حفظ النسل الــذي أخذت الأمم تُضَيِّعُهُ وتهدمه، وما الإنجاب الصناعي المتفلِّت من القيود الإسلامية إلا أحد عوامل الهدم.

٤ ــ أنه لم يكتب فيه بشكل متكامل فيما أعلم مــن الناحية الشرعية بالذات، اللهم إلا بعض الفتاوى والكتيِّبات الصغيرة، والندوات الطبية والفقهية.

وقد اخترت لهذا الموضوع العنــوان الآتي:

(الإنجاب الصناعي بين التحليل والتحريم دراسة فقهية إسلامية مقارنة)

وسبــب هذه التسميــة: أن الإنجاب الصناعي بصوره المختلفــة، يتنازعه فريقان، الأول: يقــول بالتحليل، والثاني: يقول بالتحــريم، فاقتضى الأمر ذكر كل فريق وأدلته، ثم المناقشة والترجيح.

طريقة إعداد هذا الكتاب

١ - اقتصرت على المذاهب السنية الأربعة، ومذهب ابن حزم غالباً.

٢ - نهجــت عنــد عرض مذاهــب الفقهــاء إلى الاستشهــاد ببعض عباراتهم؛ وذلك لاختلاف الأقوال في المذهب الواحد؛ ولأن نسبة رأي إلى أي مذهب، لا تكون دقيقة

obeikandl.com

إلا بوضع الأقوال المنقولة في المذهب بعضها مع بعض، والنظر إلى مجموعها دون الاكتفاء بقول فقيه واحد من فقهاء ذلك المذهب.

٣ ـ ذكرت نصوص وأدلة كل مذهب على حدة، ثم أبينّ الراجح بعد مناقشة أدلة الرأي المرجوح من وجهة نظري.

٤ ـ خرّجت الآيات الكريمة بذكر سورها وأرقامها.

٥ ـ خرّجت الأحاديث الشريفة والآثار من مصادرها الأصلية، وعندما يكون الحديث في البخاري ومسلم أكتفي بهما، وعندما يكون في أحدهما فربما أذكر بعض المصادر الأخرى، وإن لم يكن في أي منهما فأخرّجه من مصادره الأصلية، وأحكم عليه بالصحة من عدمها.

٦ ـ قمت بترجمة الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في صلب البحث.

٧ ـ قمت بوضع فهارس للبحث.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com